

تفسير البحر المحيط

@ 392 @ مراعاة المعنى هنا لازمة ، لأن كل قد أضيفت إلى نكرة ، ومتى أضيفت إلى نكرة
وجب مراعاة المعنى ، فتطابق ما أضيفت إليه في عود ضمير وغيره ، قال تعالى : { يَوْمَ
نَدْعُوهُمْ كُلٌّ مِنْ أُنْثَىٰ بِإِسْمِ اللَّهِ } ، وقال الشاعر : % (وكل أناس قاربوا قيد
فحلهم % .

ونحن حللنا قيده فهو سارب .

% .

وقال : % (وكل أناس سوف تدخل بينهم % .

دويهة تصفر منها الأنامل .

% .

وقال تعالى : { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } ، وتقول : كل رجلين يقولان ذلك ،
ولا يجوز في شيء من هذا مراعاة لفظ كل ، وثم محذوف تقديره : مشربهم منها : أي من الاثنتي
عشرة عيناً . ونص على المشرب تنبيهاً على المنفعة العظيمة التي هي سبب الحياة ، وإن
كان سرد الكلام قد علم كل أناس عينهم ، لكن في ذكر المشرب ما ذكرناه من تسويغ الشرب لهم
منها أنشده لهم الأمر بالأكل من المن والسلوى ، والشرب من هذه العيون ، أو أمروا بالدوام
على ذلك ، لأن الإباحة كانت معلومة من غير هذا الأمر ، والأمر بالواقع أمر بدوامه ، كقولك
للقائم : قم . { كُلُّواْ وَاشْرَبُواْ } : هو على إضمار قول ، أي وقلنا لهم ، وهذا
الأمر أمر إباحة . قال السلمي : مشرب كل أحد حيث أنزله رائده ، فمن رائده نفسه مشربه
الدنيا ، أو قلبه فمشربه الآخرة ، أو سره فمشربه الجنة ، أو روحه فمشربه السلسبيل ، أو
ربه فمشربه الحضرة على المشاهدة حيث يقول : { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَّابًا طَهُورًا }
{ ، طهرهم به عن كل ما سواه ، وبدء بالأكل لأنه المقصود أولاً ، وثنى بالشرب لأن الاحتياج
إليه حاصل عن الأكل ، ولأن ذكر المن والسلوى متقدم على انفجار الماء . .

{ مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ } ، من : لابتداء الغاية ، ويحتمل أن تكون للتعبير . ولما كان

مأكلهم ومشربهم حاصلين لهم من غير تعب منهم ولا تكلف ، أضيفا إلى الله تعالى ، وهذا
التفات ، إذ تقدم فقلنا : اضرب ، ولو جرى على نظم واحد لقال : من رزقنا ، إلا إن جعلت
الإضمار قبل كلوا مسنداً إلى موسى ، أي وقال موسى : { كُلُّواْ وَاشْرَبُواْ } فلا يكون
فيه التفات ، ومن رزق الله متعلق بقوله : واشربوا ، وهو من أعمال الثاني على طريقة

اختيار أهل البصرة ، إذ لو كان من أعمال الأول لأضر في الثاني ما يحتاجه ، فكان يكون :

كلوا واشربوا منه ، من رزق الله ، ولا يجوز حذف منه إلا في ضرورة على ما نص بعضهم ،
والضرورة والقليل لا يحمل كلام الله عليهما . والرزق هنا هو المرزوق ، وهو الطعام من المن
والسلوى ، والمشروب من ماء العيون . وقيل : هو الماء ينبت منه الزروع والثمار ، فهو
رزق يؤكل منه ويشرب ، وهذا القول يكون فيه من رزق الله ، يجمع فيه بين الحقيقة والمجاز ،
لأن الشرب من الماء حقيقة ، والأكل لا يكون إلا مما نشأ من الماء ، لا أن الأكل من الماء
حقيقة ، فحمل الرزق على القدر المشترك بين الطعام والماء أولى من هذا القول . .
ولما كان مطعومهم ومشروبهم لا كلفة عليهم ولا تعب في تحصيله حسنت إضافته إلى الله تعالى
، وإن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله تعالى ، سواء كانت مما تسبب العبد في كسبها أم
لا ، واختص بالإضافة للفظ الله ، إذ هو الاسم العلم الذي لا يشركه فيه أحد ، الجامع لسائر
الأسماء { اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ } ، { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ * قُلِ اللّٰهُ * اللّٰهُ الَّذِي يَخْلُقُ ثُمَّ
يُعِيدُهُ } ، و { مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } ، { مَّعَ اللَّهِ } ؟